بحـر عميـق

ربى سعد ناصر

أعود بالذاكرة إلى الوراء، وما أتذكره من طفولتي في ليالي الشتاء الباردة، صوت الرياح التي تزمجر بالخارج، وانهمار رذاذ المطر على حافة الشباك، والتفافنا نحو المدفأة، ورائحة الكاكاو الساخن تملأ المكان، وصوت جدتي؛ ذلك الصوت الذي ما أزال أسمع صداه في أعماقي، وهي تروي لنا قصصاً وحكايات زمان، فقد كنت أنتظر موعد الحكاية بشغف وشوق شديدين، وأعد الدقائق والثواني. كنت أستمتع بها جداً، وأرحلُ معها وأعيش داخلها كانت تسحرني وتفتنني.

هكذا كان الحال مع أحبائي الصغار في الروضة لدى قراءتي قصة ما، كنت أبحر في أعماق القصة أشعر بها وتشعر بي وأتفاعل معها وأنصهر بها؛ سواء كان ذلك من خلال تعابير الوجه أو نبرات الصوت، أو لحظات الصمت. وأكثر ما كان يستهويني ويستوقفني ويزيد من تصميمي على رواية قصة ما، هي تلك النظرة التي ترتسم على وجوه الأطفال وحركات رؤوسهم، التي تُشعرك وكأنهم يغوصون في الأعماق، يبحثون ويتساءلون عما سيحدث لاحقاً في القصة.

فالمرة الأولى التي قرأت فيها، كنت كالطائر الصغير الذي لم يقوَ بعد على الطيران، فكلما كبر هذا الطائر قويت أجنحته الصغيرة، وأصبح قادراً على التحليق عالياً في الفضاء، كما أنني أصبحت أكثر تطوراً، وأكثر تحليقاً وإبداعاً في قراءة القصص من خلال التجربة والمحاولة. فالطائر الصغير تعلم الطيران من والديه ورفاقه كيفية التحليق عالياً، وأنا تعلمت من معلمتي الأولى جدتي ومن أحبائي الصغار، ومن الذين سبقوني في هذا المجال. فلدى قراءتي للقصص أشعر بسعادة لا توصف، وكأنني طائر فر هارباً من القفص محلقاً عالياً في السماء.

فالقصة بالنسبة لي بحرٌ واسعٌ عميق، فيه الكثير من المغامرات والمفاجآت والعبر والحكم وتجربة الآخر والخيال الذي لا حدود له، والقارئ الجيد هو الذي يستطيع الغوص إلى العمق لاستخراج اللآلئ والمرجان. تجربتي صغيرة، ولكنها عميقة رائعة، وأرغب جداً في تطويرها وتحسينها حتى يصبح بإمكاني استخراج تلك اللآلئ والمرجان من الأعماق.

ربى سعد ناصر
مربية رياض أطفال – مدرسة الفرندز

معلمة تنفذ نشاطاً مع أطفالها في روضة مدرسة راهبات مار يوسف.